

سوء السريرة

خلق الله الإنسان وأنعم عليه بنعم ظاهرة وباطنة لا تعد ولا تحصى كما جاء ذلك في الذكر الحكيم، ولا بد من شكر هذه النعم بمقتضى حكم العقل بوجوب شكر المنعم، أما النعم الظاهرة: كالجوارح والحواس والمأكول والمشروب وغيرها فيكون شكرها بأداء ما فرض أداؤه من واجبات تحصل من خلال تلك النعم، واجتناب ما حرم الله مما نهى عنه مما يأتي منها كذلك.

وهناك نعم باطنة تفضل بها الله تعالى على عباده: كنعمة العقل (أو القلب) التي من خلالها يدرك ويتعقل ويميز، ونعمة الوجدان من الحب والتسامح ومساعدة الآخرين وغيرها من العواطف والمشاعر الحسنة، فهذه النعم أيضا لا بد من شكرها بما يتناسب مع وظائفها، فشكر نعمة العقل أن يدرك الايمان بالله تعالى ويتيقن بعدله وحكمته ووجوب طاعته وشكره، ونعمة الوجدان أن يحسن إلى إخوانه ويجب لهم ما يجب لنفسه.

هذا ولكن قد يحصل -والعياذ بالله-

خلاف ما قرره العقل من لزوم أداء الشكر وذلك بأن يظهر العبد المعصية ويتجاهر بالمحرمات على صعيد النعم الظاهرة، وعلى صعيد النعم الباطنة فقد يبطن الإنسان في نفسه الكفر أو النفاق أو الحسد والرياء وغيرها من الأوصاف التي تنبع من باطن غير نقي وغير سليم.

واشتهال الإنسان على مثل هكذا صفات باطنية سلبية هو ما يعبر عنه بسوء السريرة، أو خبث الباطن، أو فساد الضمير، والمراد منها واحد.

وقد ذكر أهل اللغة أن السر والسريرة: هي ما يكتمه الإنسان ويخفيه من أفعاله في نفسه ولا يبديه لغيره، نعم هي غير خافية على الله تعالى لأنه ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾، كما أن كلمة السوء تعني الشيء القبيح والفعل الفاسد، فعلى هذا يكون المراد من سوء السريرة: هو قبح ما يخفيه الإنسان ويضمرة في نفسه من أفعال، فمن يضمّر الأفعال الباطنية القبيحة (ولم يظهرها ولم يصرح بها) كالكفر، والنفاق والحسد وغيرها فهو ذو سريرة سيئة. فبذلك يظهر أن سوء السريرة هو من

الأمراض والابتلاءات التي تصيب باطن الإنسان وقلبه، فتفسد ذلك الباطن وذلك القلب المراد له الإيمان والاطمئنان وتجره إلى كثير من الأمراض الباطنية القلبية كسوء الظن بالله تعالى، والناس أيضا، وحب النفس والشهوات ولو على حساب الآخرين، والعجب والرياء، وغيرها من المعاني القبيحة التي هي خلاف ما يريد الله تعالى من عباده.

نعم إن الله تعالى يريد لعبده أن يكون ذا باطن سليم وقلب سليم يشتمل على اليقين بوعدده ووعيده وحسن الظن به والتوكل عليه والإخلاص في العبادة وحسن المعاشرة مع الإخوان والتعاون على البر والتقوى وغيرها من محامد الصفات، التي تركز الإنسان وترتقي به ليكون العبد مصداقا لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ويكون من المفلحين الفائزين.

أما من اشتملت سريرته على الأفعال القبيحة فهو مصداق لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، فإن كلمة ﴿دَسَّاهَا﴾ كما ورد في تفسير الأمثل أنها كناية عن الفسق والذنوب التي يخفيها ويضمرها الإنسان، فالدس هو

سوء السريرة

الشيخ سعيد الجبوري

الظاهر، ويؤكد هذا المعنى ما ورد عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: «فساد الظاهر من فساد الباطن، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته».

فلذلك لا بد للإنسان حتى يصل إلى الفلاح والفوز في الآخرة من التحلي بحسن السريرة، وسلامة الباطن والقلب، وبالتالي ينعكس ذلك الحسن من الباطن إلى الظاهر، وتكون الأفعال الظاهرية حسنة كما ورد ذلك في الرواية السابقة، فإذا وصل العبد إلى هذه المرتبة فلا محالة يكون ممن عمل لحسن الخاتمة والعاقبة وهي غاية الغايات.

أسأل الله تعالى أن يعيننا على أنفسنا، ولا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، وأن يعيننا على أنفسنا في صلاح ما ظهر منها وما بطن ويرزقنا حسن الخاتمة ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾.

الإخفاء والاضمار للذنوب وهو نفسه سوء السريرة، فيكون صاحبها خائبا خسرانا كما ذكرت ذلك الآية الكريمة.

هذا وقد ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ما يبين خطورة هذه الصفة والتحذير منها، كما روي عن الامام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «والذنوب التي ترد الدعاء: سوء النية، وخبث السريرة، والنفاق...» وغيرها من الروايات في هذا المجال لمن أراد المزيد مراجعة كتاب ميزان الحكمة ج ٢ ص ١٢٨٧.

وفي مقابل سوء السريرة والاتصاف بسوء الأفعال هو صلاح السريرة ونقاؤها، حيث ينبغي بل يجب على كل مؤمن أن يتصف بحسن السريرة، ويحاول جاهدا المحافظة على نقاء قلبه وصفائه، ومعالجته لما قد يعرض عليه مما يؤثر على ديمومة حسن سريرته بالتوكل على الله تعالى أولا والافتداء بمن أمرنا الله بالافتداء بهم (محمد وآل محمد)، ومراجعة السلف الصالح من العلماء الربانيين ممن ظهر ورعهم وتقواهم والاستفادة منهم.

ولا يخفى أن حسن السريرة وصلاحها كثيرا ما يكون باعثا وكاشفا عن حسن